التوجيه النحوي للآيات القرآنية في كتاب الجمل للخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ): المنصوبات انموذجا

Grammatical Orientation of Qur'anic Verses in the Book, Al-Jumal, by Al-Khalil ibn Ahmad (d. 175 AH): The Accusative Case as a Model

علياء فلاح حسن

Alia Falah Hassan

alieaa91@uomustansiriyah.edu.iq

أ.د. علي جميل احمد

Prof. Dr. Ali Jamil Ahmed

dr.ali.arab@uomustansiriyah.edu.iq

قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

Department of Arabic Language/

College of Arts/Al-Mustansiriya University

الملخص

تهدف الدراسة إلى إحياء تراث الخليل العلمي، وإعادة تقييم كتاب "الجمل" مصدرًا تراثيًا أصيلًا، وربطه بالدراسات النحوية المعاصرة لتقديم رؤية شاملة تسهم في إثراء البحث اللغوي. وتكمن أهمية الدراسة في تعميق فهم السياقات اللغوية والدلالية للقرآن الكريم، عن طريق إبراز العلاقة الوثيقة بين التوجيه النحوي والمعاني الدقيقة للنص القرآني، مع سد الفجوة الناتجة عن ندرة الدراسات المتخصصة في "الجمل". ويهدف البحث إلى إبراز أثر الخليل كمعلم لسيبويه ومؤسس للمنهج النحوي، وتشجيع البحث في الدراسات النحوية والقرآنية. ويقتصر البحث على التوجيهات النحوية في "الجمل"، مع الرجوع إلى المصادر التراثية للمقارنة، ويغطي الآيات القرآنية التي تناولها الخليل، مع تحليل تأثيره في النحاة اللاحقين. ويتناول هذا البحث التوجيه النحوي للآيات القرآنية في كتاب "الجمل" للخليل بن أحمد الفراهيدي، مع التركيز على المنصوبات كنموذج، وتحديدًا مسألتي النصب على القطع في الآية: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[الأنبياء: ٩٢] والنصب على الإغراء في الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

أظهر الخليل براعته في تأصيل النصب على القطع كحال أو بدل، وإجازة الرفع كخبر لـ"إن"، مبرزًا مرونة اللغة العربية في استيعاب معانٍ متعددة. كما أصّل النصب على الإغراء كحث على الإصلاح الذاتي، مع إجازة الرفع كتوكيد أو خبر مقدم. كما عزز النحاة اللاحقون (الطبري، أبو حيان، العكبري، الرضي) توجيهات الخليل، مضيفين أبعادًا دلالية تبرز الوحدة والمسؤولية الذاتية. وقد عكس هذا البحث غنى اللغة العربية عن طريق القراءات المختلفة، ويؤكد دور النحو في كشف المعاني القرآنية العميقة.

الكلمات المفتاحية: الجمل في النحو، المنصوبات، النصب على القطع، النصب على الأغراء

Abstract

This research examines the grammatical analysis of Quranic verses in Al-Khalil ibn Ahmad Al-Farahidi's book Al-Jumal, focusing on accusative constructions as a model, specifically the accusative of apposition in the verse: ﴿Indeed, this is your nation, one nation﴾ (Al-Anbiya: 92) and the accusative of incitement in the verse: ﴿you who have believed, upon you is [responsibility for] yourselves﴾ (Al-Ma'ida: 105).

Al-Khalil demonstrated his mastery in establishing the accusative of apposition as a circumstantial qualifier or substitute, while permitting the nominative as a predicate of inna, highlighting the flexibility of the Arabic language in accommodating multiple meanings. He also established the accusative of incitement as an exhortation for self-reform, allowing the nominative as reinforcement or a preposed predicate. Later grammarians (Al-Tabari, Abu Hayyan, Al-Ukbarri, Al-Radi) reinforced Al-Khalil's interpretations, adding semantic dimensions that emphasize unity and personal responsibility. The research reflects the richness of the Arabic language through variant Quranic readings and underscores the role of grammar in revealing profound Quranic meanings.

Keywords: Sentences in Grammar, Accusative, Accusative over Qata', Accusative over Temptation

المقدمة

يُعدّ كتاب "الجمل" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. ١٧٥ هـ) من أبرز المؤلفات النحوية التي ساهمت في تأسيس علم النحو العربي، حيث أرسى الخليل قواعد دقيقة لتحليل التراكيب اللغوية، مستندًا إلى القرآن الكريم والشعر الجاهلي كمصدرين أساسيين. تتمثل أهمية هذا الكتاب في منهجيته العلمية التي تجمع بين التحليل النحوي والتفسير الدلالي، مما جعله مرجعًا محوريًا للنحاة اللاحقين مثل سيبويه والفراء.

وفي هذا السياق، يركز البحث على دراسة التوجيه النحوي للآيات القرآنية في كتاب "الجمل"، مع التركيز على المنصوبات كأنموذج يعكس دقة الخليل في تحليل الحركات الإعرابية وتعدد القراءات القرآنية.

يأتي هذا البحث لتسليط الضوء على ثلاث مسائل نحوية بارزة تناولها الخليل في كتابه: النصب على القطع، وتعدي اسم الفعل إلى المفعول به على الإغراء، والنصب على التحذير. تهدف الدراسة إلى إبراز كيفية توجيه الخليل للآيات القرآنية نحويًا، مع الربط بين القراءات المختلفة والتوجيهات الإعرابية، واستخلاص الفروق الدلالية التي تنشأ عن هذه الاختلافات.

كما يسعى البحث إلى تقديم تحليل علمي يوضح مدى تأثير الخليل في تطور الفكر النحوي، وإسهامه في فهم النص القرآني عن طريق التحليل اللغوي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يعالج جانبًا جوهريًا من التراث النحوي العربي، ممثلاً في كتاب "الجمل"، مع التركيز على المنصوبات كمظهر لغوي بارز في القرآن الكريم. يساهم البحث في إبراز دور الخليل في تأسيس قواعد النحو، وربطها بالنص القرآني، مما يعزز فهم السياقات اللغوية والدلالية للآيات.

كما يُسلط الضوء على تعدد القراءات القرآنية وأثرها في تنوع التوجيهات النحوية، مما يعكس غنى اللغة العربية وقدرتها على استيعاب معانٍ متعددة.

أهداف البحث:

١) تحليل التوجيه النحوي للمنصوبات في كتاب "الجمل" للخليل بن أحمد، عن طريق دراسة مطلبين مسائل: النصب على القطع، والإغراء.
٢) إبراز الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية المختلفة في الآيات المدروسة، وتأثيرها على التوجيه النحوي.
٣) تقييم إسهام الخليل في تطوير الفكر النحوي، وربطه بالنص القرآني كمصدر أساسي للتحليل اللغوي.
٤) توضيح أثر السياق اللغوي والدلالي في تحديد الحركات الإعرابية، وإبراز مرونة اللغة العربية في التعبير عن المعاني.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل حول كيفية توجيه الخليل النحوي للآيات القرآنية في كتاب "الجمل"، خاصة في المنصوبات، ومدى تأثير تعدد القراءات القرآنية على هذه التوجيهات. كما يتناول البحث التساؤل عن الفروق الدلالية الناتجة عن الاختلافات الإعرابية، ودورها في إثراء المعاني القرآنية.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي، عن طريق:

١) جمع النصوص المتعلقة بالمنصوبات من كتاب "الجمل"، مع التركيز على الآيات القرآنية.

٢) تحليل أقوال الخليل ومقارنتها بآراء النحاة الآخرين مثل الطبري، أبو حيان، والعكبري.
٣) دراسة القراءات القرآنية المختلفة وتوجيهاتها النحوية، مع إبراز الفروق الدلالية.
٤) استخلاص النتائج التي توضح إسهام الخليل في الفكر النحوي، ودور السياق في تحديد الإعراب.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد، ومطلبين رئيسية، وخاتمة:

المقدمة والتمهيد: توضيح أهمية البحث، أهدافه، مشكلته، منهجيته، وخطته.

المطلب الأول: النصب على القطع في الآية ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[الأنبياء: ٩٢].

المطلب الثاني: تعدي اسم الفعل إلى المفعول به على الإغراء في الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

الخاتمة: عرض أهم النتائج، مع توصيات لدراسات لاحقة.

التمهيد

يُعدّ الخليل بن أحمد من رواد علم النحو، حيث ساهم في وضع أسسه المنهجية عن طريق كتاب "الجمل"، الذي يتميز بتحليل دقيق للتراكيب اللغوية، مع التركيز على النص القرآني كمصدر أساسي. وتتجلى براعة الخليل في ربطه بين القواعد النحوية والسياقات الدلالية، مما جعل توجيهاته النحوية مرنة وقادرة على استيعاب تعدد القراءات القرآنية.

في هذا البحث، يتم تناول مسألتين نحويتين تتعلق بالمنصوبات، وهي:

المسألة الأولى: النصب على القطع: كما في الآية ﴿**إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً**﴾، حيث أجاز الخليل النصب على الحال أو البدل، والرفع كخبر لـ"إن"، مع تحليل القراءات المختلفة ودلالاتها.

المسألة الثانية: تعدي اسم الفعل على الإغراء: كما في الآية ﴿**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ**﴾، حيث وجه الخليل نصب "أنفسكم" على الإغراء، مع مقارنة قراءة الرفع الشاذة ودلالاتها.

تتميز هاتين المسألتين بكونهما تعكس منهج الخليل في التعامل مع النص القرآني، حيث يراعي السياق اللغوي والدلالي، ويربط بين الحركات الإعرابية وتعدد القراءات. كما تبرز هذه المسائل أهمية التوجيه النحوي في فهم المعاني القرآنية، ودور اللغة العربية في إبراز الفروق الدقيقة بين القراءات.

عن طريق هذا التمهيد، يتضح أن البحث يسعى إلى تقديم دراسة علمية متكاملة، ترتكز على تحليل نصوص الخليل في كتاب "الجمل"، مع مقارنة بآراء النحاة الآخرين، لإبراز دوره في تطوير الفكر النحوي، وإسهامه في فهم النص القرآني عن طريق المنصوبات كنموذج.

كما يهدف البحث إلى تعزيز الوعي بأهمية التراث النحوي، وتشجيع الدراسات التي تربط بين النحو والتفسير القرآني، مما يسهم في إثراء المعرفة اللغوية والدينية.

«المطلب الأول»

النصب على القطع

يُعدّ النصب على القطع إحدى المسائل النحوية الدقيقة التي تناولها الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه "الجمل"، والتي تُبرز براعته في تحليل التراكيب اللغوية وتفسير الحركات الإعرابية في النصوص القرآنية والشعرية. يُقصد بالنصب على القطع تغيير الحركة الإعرابية للكلمة من الرفع إلى النصب نتيجة انقطاعها عن الإعراب الأصلي، بحيث تُعامل كحال أو بدل، مع الحفاظ على دلالتها السياقية.

قال الخليل: "والنصب على القطع مثل قَوْلك هَذَا الرجل وَاقِفًا أَنا ذَا عَالما .. وقال جرير (جرير (١١٠هـ)، ١٩٨٥، صفحة ٤٧٧):

هَذَا ابْنُ عمّي فِي دمشقَ خَليفَةً لَو شِئْتُ ساقَكُم إليّ قَطِينا

نصب (خَليفَة) على الْقطع من الْمعرفَة من الألف واللام، "وَلَو رفع على معنى (هذا) المعنى ؛ لجاز على معنى: هَذَا ابْن عمي هَذَا خَليفَة. وعَلى هَذَا الْمَعْنى يقْرَأ من يقْرَأ[1] (الفراء (ت ٢٠٧هـ)، صفحة ٢/ ٢٠١): ﴿**إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً**﴾[الأنبياء:٩٢] فَإِن جعل (هَذَا) اسْم (إنّ) وَ(ابْن عمي) صفته وَ(خَلِيفَة) خَبره جَازَ الرّفْع"(الفراهيدي (١٧٥هـ)، ٢٠٠٠، صفحة ٦٨).

أجاز الخليل في (أُمَّةً) النصب على الحال من اسم الإشارة (هذه)، والرفع على أنه خبر (إنّ)، وهذه قراءة شاذة رويت عن الحسن البصري (الداني (٤٤٤هـ)، ١٩٨٨، صفحة ٥٦).

(١) بالرفع قرأ الحسنُ وابنُ أبي إسحاق وأبو حيوة وابنُ أبِي عبلة والجعفيُّ، وأبو عمرو في رواية هارون عنه، والزعفرانِيُّ والأشهبُ.

وبذلك يُظهر الخليل في هذا القول براعته النحوية في تأصيل النصب على القطع كظاهرة لغوية ترتبط بانقطاع الكلمة عن الإعراب الأصلي (الرفع) لتصبح في محل نصب كحال أو بدل، مع إجازة الرفع حسب السياق النحوي. استشهاده بأمثلة لغوية مثل "هذا الرجل واقفًا" وبيت جرير، وبآية ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، يبرز قدرته على ربط القواعد النحوية بالنصوص القرآنية والشعرية.

وهذا المنهج يفتح الباب لمناقشة آراء النحاة اللاحقين، الذين تناولوا هذه الآية مستندين إلى تأصيل الخليل، مع إضافة توجيهاتهم الخاصة التي تعكس تنوع القراءات ودلالاتها.

قال ابن كمال باشا: "قرئ: (أمَّتكم) بالنَّصب على البدل من (هَذِهِ) (ابن جني (٣٩٢هـ)، ١٩٩٩، صفحة ٢/ ١٠٩)، وهذه القراءة تدل على أنّ التابع يتبع متبوعة في العلامة الإعرابية، الفتحة، و(أمَّةٌ) بالرَّفع على أنه خبر (إنّ). وقرئ بالعدول عن علامة النصب إلى الرفع في (أمتُكم أمةٌ واحدةٌ) برفعهما على أنهما خبران لـ (إنّ) أو أنّ الأول خبر (إنّ) والثاني خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي أمَّةٌ)." (الرومي (٩٤٠هـ)، ٢٠٠٠، صفحة ٧/ ٧١).

وفي هذه الآية قراءتان وتوجيهان: الأول: ذهب الطبري (الطبري (٣١٠هـ)، ٢٠٠١، صفحة ١٧/ ٦١) وأبو حيان (ت. ٧٤٥هـ) (الاندلسي (٧٤٥هـ)، ٢٠٠٠، صفحة ٧/ ٤٦٤) وأبو البقاء العكبري (العكبري (٦١٦هـ)، صفحة ٢/ ٩٢٦) إلى أنّ قراءة الجمهور (الابياري (١٤١٤هـ)، ١٤٠٥هـ، صفحة ٦/ ٤٤) (أُمَّتُكُمْ) بالرفع على أنها خبر (إنّ) و(أُمَّةً واحِدَةً) بالنصب على الحال، وعلى هذا التوجيه وجه الخليل هذه القراءة، وقيل: بدل من (هذه)، وقرأ الحسن (أمتكم) بالنصب على أنها بدل من (هذه) (الاندلسي (٧٤٥هـ)، ٢٠٠٠، صفحة ٦/ ١٨٤). والآخر: قراءة الرفع، فقد قَرَأَ الحسن (الحلبي (٧٥٦هـ)، صفحة ٨/ ١٩٦) وابن إسحاق والأشهب العقيلي وأبو حيوة وابن أبي عبلة والجُعفي وهارون عن أبي عمرو والزَّعفراني: (أمتكم أمةٌ واحدةٌ)

برفع الثلاثة على أنّ (أمتكم) و(أمةٌ واحدةٌ) خبر (إنّ) أو أنّ (أمةٌ واحدةٌ) بدل من (أمتكم) بدل نكرة من معرفة، أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: (هي أمةٌ واحدةٌ) (الازهري (ت٣٧٠هـ)، ١٩٩٥، صفحة ٢/ ١٩١).

ففي هذه الآية، اختلاف القراءات يستند إلى حركات الإعراب المتعلقة بكلمتي (أُمَّتُكُمْ)، (أُمَّةً واحِدَةً) وتبعًا لذلك يتباين التوجيه النحوي للآية. وفيما يأتي توضيح للتوجيهين مع ذكر القراء:

التوجيه الأول: أن قراءة الجمهور (أمتكم) بالرفع و(أمة واحدة) بالنصب. ووجه ذلك أن الجملة تشير إلى حال الأمة ككل، وإن الأمة الموصوفة بكونها واحدة هي المخاطبة. وقيل: "أمة واحدة" بدل من "هذه"، وهذا التوجيه ينسجم مع عَدِّ "هذه" في محل نصب.

التوجيه الآخر: قراءة (أمتكم أمة واحدة) برفع الثلاثة، فتكون "أمتكم" و"أمة واحدة" كلاهما مرفوع. و"أمتكم" خبر "إن". و"أمة واحدة" بدل من "أمتكم" على أنه بدل نكرة من معرفة. أو: "أمة واحدة" خبر مبتدأ محذوف، تقديره: "هي أمة واحدة" (الحلبي (٧٥٦هـ)، صفحة ٨/ ١٩٦) وهذه القراءة تشير إلى تقرير واقع الأمة بأنها واحدة، مما يُبرز مضمون الوحدة بين المسلمين.

تتجلى براعة الخليل في تأصيله للنصب على القطع كظاهرة لغوية تتجاوز مجرد تغيير الحركة الإعرابية، لتصبح بوابة لفهم السياقات الدلالية العميقة في النص القرآني. في الآية ﴿**إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً**﴾، يربط الخليل بين النحو والدلالة، حيث يجيز النصب على الحال أو البدل ليبرز الوحدة كحالة ديناميكية ينبغي على الأمة إدراكها وتجسيدها، ويجيز الرفع ليؤكد الوحدة كحقيقة ثابتة. هذا التعدد في التوجيه يعكس غنى اللغة العربية، حيث تتيح القراءات المختلفة إبراز معانٍ متكاملة: النصب يحث على السعي نحو الوحدة، والرفع يثبتها كجوهر الأمة.

أما النحاة اللاحقون، كابن كمال باشا، الطبري، أبو حيان، والعكبري، استلهموا من الخليل مرونته النحوية، لكنهم أضافوا أبعادًا دلالية تعزز فهم الآية. فابن كمال باشا يبرز البدل كوسيلة لتتبع الإعراب، بينما الطبري وأبو حيان والعكبري يركزون على قراءة الجمهور لتعزيز الوحدة كحالة عملية. وأما قراءة الحسن البصري وآخرين فتعكس الوحدة كحقيقة إيمانية راسخة، مما ينسجم مع إجازة الخليل للرفع.

ولذا ترى الباحثة أن النصب في قراءة الجمهور يحمل نبرة حث وتذكير، موجهة إلى الأمة لتدرك وحدتها كمشروع يتطلب جهدًا وعملًا، بينما الرفع في القراءة الشاذة يحمل طابعًا تقريريًا، يثبت الوحدة كجوهر لا يتزعزع. وهذا التكامل بين القراءتين يعكس براعة اللغة العربية في استيعاب معانٍ متعددة ضمن تركيب واحد، مما يجعل الآية مرآة للوحدة بأبعادها الروحية والعملية. إن تأصيل الخليل، وما بناه عليه النحاة، يظهر النحو ليس مجرد قواعد، بل فنًا ينطق بأسرار النص القرآني، ويفتح أفقًا للتأمل في جمال اللغة ودقتها في التعبير عن الحقائق الإيمانية.

«المطلب الثاني»

تعدي اسم الفعل إلى المفعول به على الإغراء

يُعدّ النصب على الإغراء من المسائل النحوية البارزة التي تناولها الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه "الجمل"، والتي تُبرز قدرته على تحليل التراكيب اللغوية بمنهجية دقيقة تربط بين القواعد النحوية والسياقات الدلالية. يقصد بالإغراء في النحو التنبيه على فعل محمود يُطلب من المخاطب القيام به، حيث يُنصَب الاسم كمفعول به لاسم فعل أمر محذوف، يحمل دلالة الحث أو الأمر بالالتزام.

وفي ذلك قال الخليل: "وَالنّصب على الإغراء مثل قَوْلهم: (عَلَيْك زيدًا ودونك عمرًا ورويدك مُحَمَّدًا ورويد عمرًا) نصبته بالإغراء كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾[المائدة: ١٠٥] فنصب (أَنْفُسَكَمْ) على الإغراء" (الفراهيدي (١٧٥هـ)، ٢٠٠٠، صفحة ٨٢).

يُبرز الخليل في هذا القول عبقريته النحوية في تأصيل النصب على الإغراء كظاهرة لغوية تعكس الحث على فعل محمود، حيث يُنصَب الاسم كمفعول به لاسم فعل أمر محذوف يحمل دلالة الالتزام. هذا التأصيل يفتح الباب لمناقشة آراء النحاة اللاحقين، الذين استندوا إلى الخليل مع إضافة توجيهات تعزز فهم الآية ودلالاتها.

وفي ذلك قال أبو القاسم الهذلي: " ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ رفع الأصمعي عن نافع، وقُتَيْبَة، والكسائي عن أبي جعفر، وابن حنبل (ت. ٢٤١ هـ)، الباقون بالنصب، وهو الاختيار على الإغراء." (المغربي (٤٦٥هـ)، ٢٠٠٧، صفحة ٥٣٦). وهذا النص يؤكد تفضيل قراءة النصب على الإغراء كقراءة سبعية، متمشية مع توجيه الخليل، بينما تُظهر قراءة الرفع الشاذة تنوع التوجيهات النحوية.

وذكر الرضي (ت. ٤٣٦هـ) أن أصل هذا النوع من أسماء الأفعال المنقولة جملة اسمية، قُدِّم فيها الخبر على المبتدأ، بقوله: "وأمّا الظرف والجار والمجرور فلأنَّ نحو: أمامَك، ودونَك زيدًا، بنصب (زيدًا) كان في الأصل: أمامَكَ زيدٌ، ودونَك زيدٌ، فخذه فقد أمكنك، فاختصر هذا الكلام الطويل لغرض حصول الفراغ منه بسرعة، ليبادر المأمور إلى الامتثال قبل أن يتباعد عنه زيد" (الاستراباذي (٦٨٦هـ)، ١٩٧٨، صفحة ٣/ ٨٩) واسم الفعل (عَلَيْكَ) يأتي بمعنى (الزم، أعطني، لِيلزم، الزمه، خُذْ، أمسك، أولِنِي) وهو مركب من حرف الجر (على) والكاف ضمير المخاطب في محل جر بالإضافة، وفاعله ضمير مستتر وجوبًا لا يظهر. وهو متعدٍّ، ومن تراكيبه: عليك زيدًا، أي: الزمْ زيدًا. ويتعدى إلى اثنين نحو: (عليَّ زيدًا، وأولِني زيدًا). ويتعدى بالباء نحو: عليكَ بزيدٍ، وقال أبو حيان: تقول: عليكَ بزيدٍ بمعنى: افعلْ بزيدٍ، وقدّره بعضهم: خُذْ زيدًا، من عليكَ، وبعضهم: أمْسِكْ عليكَ زيدًا، وسمع الأخفش: (على عبدِ الله زيدًا)، أي: قرِّبْهُ إياه (سيبويه (١٨٠هـ)، ١٩٨٨، صفحة ١/ ٢٥٠).

وقال أبو حيان أن أصل هذا التركيب على الابتداء والخبر؛ لأنه مشبه بحرف الجر مع مجروره الذي تقدم على المبتدأ، وعلى هذا المعنى قرأ نَافِعٍ (الزمخشري (٥٣٨ـ)، ١٤٠٧هـ، صفحة ١/ ٦٨٦) ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، بِالرَّفْعِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ شَاذَّةٌ تَخْرُجُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: عليكم شبه جملة متعلقة بمحذوف خبر مقدم، و(أنفسكم) مبتدأ مؤخر، ويبقى الْمَعْنَى عَلَى الْإِغْرَاءِ. الأخرى: أَنْ يَكُونَ (أنفسكم) تَوْكِيدًا لِلضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِّ فِي (عَلَيْكُمْ)، وَلَمْ تُؤَكَّدْ بضمير مُنْفَصِلٍ، إِذْ قَدْ جَاءَ ذَلِكَ قَلِيلًا، ومفعول اسم الفعل(عَلَيْكُمْ) مَحْذُوف لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، وَالتَّقْدِيرُ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ هِدَايَتَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ (الاندلسي (٧٤٥هـ)، ٢٠٠٠، صفحة ٤/ ٣٨٨).

ومما سبق يتبين أن قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنصب والرفع فيه توجيهان، كما يأتي:

الأول: في قراءة النصب على الإغراء يكون "عَلَيْكُمْ" اسم فعل أمر، بمعنى "الزموا"، و"أَنْفُسَكُمْ": مفعول به منصوب لفعل الإغراء المحذوف، أي "الزموا أنفسكم" والتقدير: الزموا أنفسكم، واهتموا بإصلاحها وهدايتها، ويدل هذا التوجيه على الإغراء والاهتمام بالمسؤولية الذاتية.

الآخر: قراءة الرفع، وفيها توجيهان: التوجيه الأول: شبه الجملة خبر مقدم، و"أنفسكم" مبتدأ مؤخر. و"عَلَيْكُمْ": شبه جملة في محل خبر مقدم. و"أَنْفُسُكُمْ: مبتدأ مؤخر مرفوع، والتقدير: المسؤولية عليكم أنفسكم، والمعنى: أنتم مسؤولون عن أنفسكم، بما يتضمن الاهتمام بالهداية، ويبقى المعنى العام للإغراء متحققًا من السياق. أما التوجيه الآخر: التوكيد واسم الفعل، فـ "أَنْفُسُكُمْ": توكيد للضمير المستتر في "عَلَيْكُمْ". و"عَلَيْكُمْ": اسم فعل أمر بمعنى "الزموا". ومفعول اسم الفعل محذوف تقديره: الزموا أنفسكم هدايتكم. وهذا الاستعمال، وإن كان نادرًا، وارد في لغة العرب ويضيف تأكيدًا على ضرورة التزام الشخص بهداية نفسه.

وبذلك تتجلى براعة الخليل في تأصيله للنصب على الإغراء كأسلوب بلاغي يجمع بين الإيجاز والحث، حيث يحول "عليكم أنفسكم" إلى دعوة قوية لتحمل المسؤولية الذاتية. في الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، يعكس النصب نبرة الحث المباشر، موجهة إلى المؤمنين للتركيز على إصلاح أنفسهم كأولوية إيمانية. قراءة النصب، التي رجحها الجمهور وأكدها الكامل للقراءات، تبرز الإغراء كأسلوب بلاغي يحمل طاقة دافعة للعمل، بينما قراءة الرفع الشاذة، التي فسرها الرضي، تضيف بُعدًا تقريريًا يؤكد أن المسؤولية جوهرية وملازمة للإنسان.

وأما النحاة اللاحقون، كالرضي وأبو حيان، استلهموا من الخليل مرونته في التعامل مع التراكيب، حيث دعموا النصب كأسلوب حثي، بينما فتحوا المجال لفهم

الرفع كتعبير عن المسؤولية كحقيقة ثابتة. الرضي يبرز جمال الإيجاز في الإغراء، موضحًا أن حذف الفعل يعزز سرعة الاستجابة، بينما أبو حيان يربط التركيب بلغة العرب الواسعة في الحث.

ولذا ترى الباحثة أن النصب يحمل قوة بلاغية تجعل الآية نداءً عاجلاً للإصلاح الذاتي، بينما الرفع يؤكد المسؤولية كسمة جوهرية، مما يعكس غنى اللغة العربية في الجمع بين الحث والتأكيد. هذا التكامل بين القراءتين يجعل الآية مرآة للتوازن بين الدعوة للعمل والتأكيد على المسؤولية، مما يبرز عبقرية النحو العربي في ترجمة المعاني القرآنية إلى أساليب لغوية مؤثرة.

الخاتمة

أختتم هذا البحث والمتضمن توجيها نحويًّا للآيتين القرآنيتين: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[الأنبياء: ٩٢] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[المائدة: ١٠٥] في كتاب "الجمل" للخليل بن أحمد، مركزًا على المنصوبات كنموذج يعكس براعة الخليل في تأصيل القواعد النحوية وربطها بالنصوص القرآنية.

وقد أظهر البحث مرونة اللغة العربية في استيعاب معانٍ متعددة عن طريق القراءات المختلفة، وأبرز دور النحو كفن يكشف أسرار النص القرآني.

أهم النتائج:

١) أصّل الخليل النصب على القطع في الآية (الأنبياء: ٩٢) كحال أو بدل، مع إجازة الرفع كخبر لـ"إن"، مما يعكس مرونته النحوية وتفاعله مع السياق الدلالي.

٢) عزز النحاة اللاحقون (ابن كمال باشا، الطبري، أبو حيان، العكبري) توجيه الخليل للنصب على الحال أو البدل، بينما ركزت قراءة الرفع الشاذة (الحسن البصري وآخرون) على الوحدة كحقيقة ثابتة.

٣) أظهر النصب على الإغراء في الآية (المائدة: ١٠٥) عند الخليل نبرة الحث على الإصلاح الذاتي، حيث نُصِب "أنفسكم" كمفعول به لاسم فعل "عليكم" بمعنى "الزموا".

٤) دعم الرضي وأبو حيان قراءة النصب على الإغراء كأسلوب بلاغي موجز، بينما فسرت قراءة الرفع الشاذة (نافع وآخرون) المسؤولية كسمة جوهرية عبر توجيهات الخبر المقدم أو التوكيد.

٥) يعكس التكامل بين قراءتي النصب والرفع في الآيتين غنى اللغة العربية، حيث تجمع بين الحث العملي (النصب) والتأكيد التقريري (الرفع)، مما يبرز عمق المعاني القرآنية.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

المراجع

١) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (٥٣٨ـ). (١٤٠٧هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي.

٢) ابراهيم بن اسماعيل الابياري (١٤١٤هـ). (١٤٠٥هـ). الموسوعة القرآنية. مؤسسة سجل العرب.

٣) ابو البقاء بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ). (بلا تاريخ). التبيان في إعراب القرآن. القاهرة: عيسى البابي الحلبي.

٤) ابو العباس، شهاب الدين احمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالمسين الحلبي (٧٥٦هـ). (بلا تاريخ). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. (احمد محمد الخراط، المحرر) دمشق: دار القلم.

٥) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ابن جني (٣٩٢هـ). (١٩٩٩). المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، المحرر) بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

٦) ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي سيبويه (١٨٠هـ). (١٩٨٨). الكتاب (المجلد الطبعة الثالثة). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

٧) ابو حيان الاندلسي (٧٤٥هـ). (٢٠٠٠). البحر المحيط في التفسير (المجلد الطبعة الاولى). (نحقيق: صدقي محمد جميل، المحرر) بيروت: دار الفكر.

٨) أبو زكريا يحيى ابن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ). (بلا تاريخ). معاني القرآن (المجلد الطبعة الاولى). (حمد يوسف أ النجاتي، محمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، المحررون) القاهر- مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

٩) ابو عمر الداني (٤٤٤هـ). (١٩٨٨). إعراب القراءات السبع وعللها (المجلد الطبعة الاولى). (تحقيق: عبد المهيمن طحان، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

١٠) ابو منصور الازهري (ت٣٧٠هـ). (١٩٩٥). معاني القراءات (المجلد الطبعة الاولى). (تحقيق: عبد الفتاح اسماعيل شلبي، المحرر) القاهرة: المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية.

١١) الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ). (٢٠٠٠). الجمل في النحو (المجلد الطبعة الاولى). (فخر الدين، قباوة، المحرر) بيروت- لبنان: المكتبة العصرية.

١٢) جرير (١١٠هـ) بن عطية. (١٩٨٥). ديوان جرير (المجلد الطبعة الاولى). (تحقيق: محمد اسماعيل العبد، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣) رضي الدين الاستراباذي (٦٨٦هـ). (١٩٧٨). شرح الرضي على الكافية (المجلد الطبعة الاولى). (تحقيق: يوسف حسن عمر، المحرر) بنغازي- ليبيا: جامعة بنغازي.

١٤) شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي (٩٤٠هـ). (٢٠٠٠). تفسير ابن كمال باشا (المجلد الطبعة الاولى). (تحقيق: عبد الله محمد عبد الله، المحرر) بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

١٥) محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ). (٢٠٠١). تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، (المجلد الطبعة الاولى). (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، المحرر) القاهرة: دار هجر.

١٦) يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهُذَلي اليشكر المغربي (٤٦٥هـ). (٢٠٠٧). الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها (المجلد الطبعة الاولى). (جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، المحرر) مؤسسة سما للتوزيع والنشر.